ABES13

**أحاديث الأذكار والأدعية 37 - أذكار طرفي النهار**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن من أذكار طرفي النهار العظيمة: ما رواه مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعودٍ قالَ: **كَانَ نَبِيُّ اللَّـهِ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْـمُـلْكُ لِلَّـهِ، وَالْـحَمْدُ لِلَّـهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، لَـهُ الْـمُـلْكُ وَلَهُ الْـحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ»، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمـُلْكُ لِلـهِ**».

قوله:«**أمسينا**» هذه فيه استشعار العبد للنعمة العظيمة والمنة الجسيمة أن جعله الله من أهل المساء وتفضل عليه بذلك؛ أن دخلنا في المساء وكان من أهله، فمن الناس من يصبح ولا يمسي، ومنهم من يمسي ولا يصبح، فمن كان من أهل المساء بالصحة والعافية عليه أن يستشعر حصول هذه النعمة له بفضل الله ومنِّه .

وقوله:«**وأمسى الملك لله**» هذا فيه تجديد الاعتراف بأن الملك كله لله والإقرار له جل وعلا بذلك.

قوله:«**والحمد لله**» هذا فيه حمد الله على النعمة بعد استشعار العبد لها.

قوله: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك** **وله الحمد وعلى كل شيءٍ قدير**»هذه كلمة التوحيد، وقد أُتبعت بأمرين: التأكيدِ على معناها ومدلولها، وذكرِ شيءٍ من براهينها ودلائلها؛ فقوله: «**وحده لا شريك له**»هذا فيه التأكيد على معناها ومدلولها، وقوله**:** «**له الملك وله الحمد** **وهو على كل شيءٍ قدير**»هذا ذكر لبراهين التوحيد ودلائله.

قوله: «**ربي أسألك خير ما في هذه الليلة**» هذا هو المطلوب وما تقدم وسائل بين يديه، أي: أسألك خير ما أنزلته هذه الليلة من منن وعطايا وبركات دينية ودنيوية، «**وخير ما بعدها**» أي: من الليالي والأيام.

وقوله: «**وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة**» أي: من كل شرٍ كائن وواقع في هذه الليلة، «**وشر ما بعدها**» أي: من الليالي والأيام.

وتأمل عظم شأن هذا الدعاء؛ أنت مُقبل على ليلة ولا تدري ما الذي سيحصل لك فيها؟ وما أنت مقبل عليه فيها؛ حياة أو موت، هداية أو ضلال، غنى أو فقر، عز أو ذل، الأمر بيد الله {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}[الرحمن:29] ، فتبدأ بتفويض الأمر لله تبارك وتعالى في حصول الخير فيها والوقاية من الشر.

قوله: «**ربي أعوذ بك من الكسل**»؛ الكسل: هو عدم انبعاث النفس للقيام بمصالح المرء الدينية والدنيوية مع القدرة عليها، وبه تتعطل مصالح المرء ، فالتعوذ بالله من الكسل وظيفةٌ يومية في كل صباح ومساء، ليسْلم المرء من الكسل ولينهض بمصالحه. والكسل قد يُقعد الإنسان عن العمل من أساسه، أو يقعده عن الإتيان به على تمامه وكماله؛ فقد يكسل فلا يعمل، وقد يكسل ويعمل لكن بضعفٍ ووهن، وكله مما يُتعوذ بالله منه.

قوله:«**وسوء الكبر**» أي: ما يلحق الإنسان في كِبره من الخرَف عندما يرد إلى أرذل العمر، بل ربما ذهاب العقل. فتضمن هذا التعوذ سؤال الله أن يمتعه في كبره وهرمه بسلامة فكره وعقله، ليكون ممن قال فيهم عليه الصلاة والسلام: ((خيرُكُم مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**))**، لا أن يكون كبره على فساد في عقله، وخرَف في أمورٍ باطلة، وأشياء تؤذيه وتؤذي من حوله. ولهذا يحتاج العبد أن يُلح على الله تبارك وتعالى أن يجعل كبره على خير، وأن يجعل خواتيمه على خير. ومثله قوله في حديث آخر: ((وأَعُوذُ بكَ مِن أنْ أُرَدَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ))؛ أي: وما يكون فيه من الأمور التي تسوء الإنسان.

قوله**:** «**ربي أعوذ بك من عذابٍ في النار وعذاب في القبر**»؛ خص هذين العذابين لأنهما أشد العذاب؛ أما عذاب القبر فهو أول منازل الآخرة، وإذا نجا المرء من عذاب القبر نجا مما بعده، وقد جاء في السنة أحاديث عديدة في التعوذ بالله من عذاب القبر، وأن عذاب القبر حق.

الحاصل أن هذا ذكرٌ عظيم وورد مبارك كان النبي يقوله مواظب عليه كل صباحٍ وكل مساء.

**وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** **قَالَ:** **كَانَ رَسُولُ اللَّـهِ** **يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ: ((إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْـمَصِيرُ»)) رواه البخاري في الأدب المفرد، والنسائي.**

هذا أيضًا من الأذكار العظيمة التي يُشرع للمسلم أن يقولها كل صباحٍ وكل مساء، وهو قائم على الاعتراف بالنعمة واستشعار المنة واستحضار العاقبة، فهو قائمٌ على استحضار المرء منة الله عليه بإدراك الصباح وإدراك المساء، مقرًا أن حياته وموته بيد الله ، وأنه طوع تدبير الله وتصريفه مع استشعار المآل والمصير إليه.

قوله:«**اللهم بك أصبحنا**» بك أي: بتيسيرك ومنك يا الله، **أصبحنا:** أدركنا الصباح وكنا من أهله، فهذه منتك يا الله وفضلك، «**وبك أمسينا**» أي أدركنا المساء، فهذا فيه اعتراف العبد بالمنة وفضل لله عليه. والباء المتكررة في هذه الجمل باء الاستعانة، فهو في كل ذلك مستعينٌ بالله ملتجئٌ إليه.

«**وبك نحيا وبك نموت**» أي: لك مماتنا ومحيانا ونحن في ذلك طوع تدبيرك يا الله، فالحياة بيدك، والموت بيدك**،** {ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَه (21) ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَه}[عبس:21-22].

ولما كانت القومة من النوم شبيهةً بالبعث والنشور قال: في خاتمته «**وإليك النشور**» للمناسبة والتشابه.

قال: ((**وإذا أمسى فليقل**: **اللهم بك أمسينا** **وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير**)) أي: بمنِّك وفضلك وتيسرك.

ولما كان المساء يعقبه النوم الذي هو شبيهٌ بالموت، بل هو موت كما في الحديث: ((الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا))، ناسب أن يُقال في المساء «و**إليك المصير**»؛ فالمصير هو المرجع إلى الله ، والمرجع يكون بدايته الموت، فللمناسبة أيضًا قال في خاتمته: «وإليك المصير».

وقوله في أوله : «**كَانَ رَسُولُ اللَّـهِ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ**»؛ هذا فيه كمال نصحه عليه الصلاة والسلام وحرصه على التعليم ونفع الناس ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وذكرهم لربهم ومولاهم ، وسيأتي معنا أحاديث عديدة في باب الذكر والدعاء أنَّ الصحابة يأتون إليه ويسألونه أن يعلمهمشيئًا يذكرون الله به، وشيئًا يدعون الله به، فكان يُعلِّمهم صلوات الله وسلامه عليه، بل جاء في بعض الدعوات والأذكار يقول الصحابة: «كان يعلمنا إياها كما يعلمنا السورة من القرآن»، وهذا يدلنا على ضرورة العناية بالأذكار النبوية بألفاظها المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام دون زيادة أو تغيير؛ لأنَّ تغيير اللفظ قد يُغيِّر المعنى، وبعض الناس قد يجتهد في زيادة لفظةٍ في الدعاء من نفسه فتغير المعنى أو ربما تُضعفه. فمثلًا: بعض الناس يقول: "أستغفر الله العظيم من كُل ذنبٍ عظيم"، يريد أن يكمل السجع فيفوِّت على نفسه كمال الاستغفار، حيث خص طلب المغفرة للذنب العظيم فقط.

الحاصل أن بعض الناس قد يجتهد اجتهادًا يؤثر على الدعاء إمَّا بضعفه، أو بتغيُّر معناه، أو بنقص مقصوده، فلماذا يُدخل نفسه في هذه المداخل ويفوِّت عليها كمال الدعوات النبوية التي جاءت عن النبي عليه الصلاة والسلام المعصوم من الخطأ والزلل!! المشتملة على غاية المطالب وأجلّ المقاصد.

فينبغي علي المسلم أن يعود نفسه على التقيد بالدعوات المأثورة عن النبي دون أن يزيد فيها، وإن دعته نفسه لزيادةٍ يرى أنها جميلة أو مفيدة أو حسنة فليتركها، فما صحَّ عن النبي عليه الصلاة والسلام فيهِ الكفايةٌ والكمال والوفاء.

وقد يختار المرء لنفسه صيغةً معيَّنةً من الدعاء يرى أنَّ فيها تحقيق سعادته في الدنيا والآخرة، ويخفى عليه ما قد تتضمّنه من شرٍّ أو خطر إمّا في الدنيا أو الآخرة، بينما الأدعية النبوية ليس فيها إلاَّ الخير والصلاح والسلامة في الدنيا والآخرة؛ روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله عَادَ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : ((هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَىْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟)) قَالَ: «نَعَمْ ؛كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : ((سُبْحَانَ اللَّهِ لاَ تُطِيقُهُ - أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلاَ قُلْتَ اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ!!)) قَالَ : فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ . فجمع له صلوات الله وسلامه عليه في هذا الدعاء العظيم الذي أرشده إليه بين خيري الدنيا والآخرة والسلامة فيهما من جميع الشرور.

وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيما؛ إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .